

وآثرنا الجمال على الجمال*

بمُطْلَعٍ عَلَى أَسْرَارِ بَالِي
بَوَجْهِ قَدْ رَأَى أَعْشَارَ قَلْبِي
لَقَدْ أُرْسِلْتُ مِنْ رَبِّ كَرِيمٍ
وَقَدْ أُعْطِيتُ بُرْهَانًا كَرُمُحٍ
فَلَا تَقْفُ الظُّنُونُ بِغَيْرِ عِلْمٍ
تَرَى آيَاتِ صِدْقِي ثُمَّ تَنْسَى
تَعَالَى إِلَى الْهُدَى دُلًّا خُضُوعًا

أَبَالَايَ إِذْ أَنْتَرْتُ أَمْرَ رَبِّي
وَكَيْفَ أَخَافُ تَهْدِيدَ الْخُنَاثَى
أَلَا إِنِّي أَقَاوِمُ كُلَّ سَهْمٍ
فَإِنْ حَرَبًا فَحَرْبٌ مِثْلَ نَارٍ
وَحَرْبِي بِالذَّلَائِلِ لَا السَّهَامِ

لَنَا فِي نُصْرَةِ الدِّينِ الْمَتَنِ
هَذَا نِي خَالِقِي نَهْجًا قَوِيًّا
لَقَدْ أُعْطِيتُ أَسْرَارَ السَّرَائِرِ

مَسَاعِي فِي التَّرَقِّي وَالْكَمَالِ
وَرَبِّي أَنِي بِأَنْوَاعِ النَّوَالِ
فَسَلُّ إِنَّ شِئْتَ مِنْ نَوْعِ السُّؤَالِ

وقد غَوَّصْتُ فِي بَحْرِ الْفَنَاءِ
رَأَيْتُ بِفَضْلِ رَبِّي سُبُلَ رَبِّي
وَكَمْ سِرٌّ أَرَانِي نَوْرُ رَبِّي
فَعُدْتُ فِي يَدِي أَبْهَى الْإِلَهِ
وَأِنْ كَانَتْ أَدَقُّ مِنْ الْهَلَالِ
وَأَيَّاتٍ عَلَى صَدَقِ الْمَقَالِ

وقد أُشْرِبْتُ كَأْسًا بَعْدَ كَأْسٍ
وقد أُعْطِيتُ ذَوْقًا بَعْدَ ذَوْقٍ
وَجَدْتُ حَيَاةَ قَلْبِي بَعْدَ مَوْتِي
لِفَاطَاتِ الْمَوَائِدِ كَانَ أَكْلِي
أَزِيدُ بِفَضْلِهِ يَوْمًا فَيَوْمًا
أَلَا يَا حَاسِدِي خَفْ قَهْرَ رَبِّي
فَلَا تَسْتَكْبِرَنَّ بِفَوْرِ عَجَبٍ
أَلَا يَا خَاطِبَ الدُّنْيَا الدُّنْيَا
إِلَى أَنْ لَاحَ لِي نُورُ الْجَمَالِ
وَنَعْمَاءُ الْمَحَبَّةِ وَالِدَّلَالِ
وَعَادَتْ دَوْلَتِي بَعْدَ الزَّوَالِ
وَصِرْتُ الْيَوْمَ مِطْعَامَ الْأَهَالِي
وَأُصْلَى قَلْبٌ مُنْتَظِرِ الْوَبَالِ
وَمَا الْوَكْ نُصَحًا فِي الْمَقَالِ
وَكَمْ مِّنْ مُّزْدَهَى صَيْدِ النَّكَالِ
تَذَكَّرْ يَوْمَ قُرْبِ الْإِرْتِحَالِ

حيأتُكَ بِالتَّغَافُلِ نَوْعُ نَوْمٍ
ولستُ بِطَالِبِ الدُّنْيَا كَزَعَمِكَ
تَرْكْنَا هَذِهِ الدُّنْيَا لَوَجْهِهِ
وَأَنْتَ تَزْدَرِي نُطْقِي وَقَوْلِي
فَلَا تَنْظُرْ إِلَى زَحْفٍ فَإِنِّي
وَأَيَّامُ الْمَعَاصِي كَاللَّيَالِي
وقد طَلَّقْتُهَا بِالْإِعْتِزَالِ
وَأَتَرْنَا الْجَمَالَ عَلَى الْجَمَالِ
ولو صَادَفْتُهُ مِثْلَ اللَّالِي
نَظَمْتُ قَصِيدَتِي بِالْإِرْتِحَالِ

(الخرائن الروحانية، ج ٥، آئنة كمالات الإسلام، ص ٥٩٤ - ٥٩٦)

* الْجَمَالُ: الإبل. وكانت رمز الثروة عند العرب، والمعنى أننا أترنا الجمال الإلهي على مال الدنيا وثرواتها. «التقوى»